بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه أما بعد...

نواصل اليوم إن شاء الله علاج مرض جديد من سلسلة أمراض القلوب ألا وهو

التسويف بالتوبة

التوبة لغةً: مادة تاب (ت – و – ب) تدل على الرجوع.

وتاب من ذنبه أي رجع عنه توبةً ومتابًا..

قال الله تبارك وتعالى :﴿ **وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا**(٧١)﴾[الفرقان]

هناك فرق بين التوبة و المتاب...

المتاب : أي التوبة التامة الكاملة التي لا نقص فيها.. **ولكن متى تكون كذلك ؟**

☜ إذا فُعِلَ المأمور، وتُرِكَ المحظوروتُحري فعل الجميل

فليس المقصود أن يترك القبائح والذنوب فحسب.....

ولكن

أن يتحرى فعل كل فعل جميل يرضى الله فهذا هو المتاب.

أما التوبة في الاصطلاح:

كما قال الراغب: "ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتداركه من الأعمال بالإعادة".

فلما أحبَّ أن يضع تعريفًا للتوبة قال:

إن العبد ليترك الذنب لقبحه ... فإذا لم يشعر بمدى قبحه فلن يتركه"

وهذه نقاط هامة لابد أن ننتبه إليها لأن العبد إذا لم يستشعر مدى قُبح الذنب فلن يتوب منه وإذا تاب فسرعان ما يعود إليه مرة أخرى ..

وأول خطوة يخطوها العبد نحو التوبة هي ☜

الإقلاع عن الذ نب

فلماذا؟....

لاستشعار مدى قبحه ، فلا يجوز للعبد المؤمن أن يتلبس بهذا الفعل القبيح فضلًا عن أن يُداوم عليه لذلك فأول خطوة من خطوات التوبة هي الإقلاع عن الذنب

العزم على عدم العودة

فيعزم أمام الله عزمًا صادقًا على عدم الرجوع...

وصدق العزم ليس كلامًا..

والندم على ما فرط منه وتدارك ما أمكنه أن يتداركه من الأعمال

والندم لا يكون على قُبح الذنب فقط بل يشمل التفريط، فالأعمار تمضي بدون أي عائد؛ فالأيام والأشهر والأعوام بل والأعمار تنقضي ونحن لا نشعر وهذا من تلبيس إبليس على المسلمين تُسْرق الأعمار والأوقات وتضيع أشرف الأزمنة فيما لا يُجدي وهذه من الأمور التي لابد للعبد أن ينتبه إليها حتى لا تذل قدمه مرة بعد مرة في المعصية ثم لا يستطيع التوبة .

الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة....

قال أهل العلم :

- من خاف العقاب فهو صاحب (توبة)
- ومن تاب يطمع في الثواب فهو صاحب (إنابة)
- ومن يتوب لمحض مراعاة أمر الله سبحانه وتعالى فهو صاحب (أوبة)

التائب يترك المعاصي ويتوب لخوفه من العقوبة

والمنيب يترك المعاصي طمعًا في الثواب

والأواب يترك المعاصي لأنها تُغْضِبْ الله ، فنظرًا لشدة محبته لله

ابتداءً فقد أقلع محبةً لله ثم طمعًا في الثواب وخوفًا من العقاب لاشك ،هذا هو الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة .

يقول أهل العلم

التوبة هي صفة لعامةِ المؤمنين:

يقول الله تعالى:﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾[النور]

إذًا الجميع يحتاج إلى توبة ولا يصح أن يأتي شخص ويقول أنا لا أُخْطِئ ؟

النداء للمؤمنين و ليس للمسلمين...

أُكرر(للمؤمنين)

ونحن نعلم أن المؤمن هو أعلى درجة من المسلم، والإيمان يشمل الدين كله.

لا يقول أحد منا أنه لا يحتاج إلى توبة، كلنا نحتاج إلى التوبة ومهما كانت أعمال العبد الظاهرة و الباطنة إلا أنه يحتاج إلى توبة ، بل إنه يحتاج إليها في كل وقت وحين ...

لكننا للأسف لا نرى كثير من الذنوب التي نقترفها ليل نهار...

وبالتالي لا نعرف كيف نتوب منها ؟

عدم رؤية الذنب واستصغاره يُبْعِد العبد عن التوبة

تلك هي الإشكالية التي نقع فيها ثم تكون النتيجة أننا لا نتوب...

العبد لا يرى أنه أذنب فمم يتوب ؟

فيظل كما هو

وليته يظل كما هو....

ولكن كما قلت مرارًا أن الإنسان إن لم يكن في زيادة فهو في نقصان شعر بذلك أم لم يشرع، والوقوف على حال واحد من الصعوبة بمكان، ففي الغالب لا يترك الشيطان العبد مستمرا على حال واحد و لكنه دومًا يريد أن يأخذه ويقذف به إلى منحدر المعاصي ومستنقع الشهوات والشبهات، هذا هو فعل الشيطان بالعباد لا يتركهم أبدًا،....والعبد في الظاهر يعتقد أنه ثابت والأمر ليس كذلك ،إذًا التوبة كما قلت هي صفة عامةِ المؤمنين.

وأما الإنابة فإنها صفة لأوليائه المقربين:

قال تعالى :﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ(٣٣)﴾[ق]

ثم تأتي الأوبة وهي صفة الأنبياء و المرسلين

قال تعالى في شأن سليمان عليه السلام:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ(٣٠)﴾[ص]

هذه هي بعض اجتهادات أهل العلم في معاني التوبة والأوبة والإنابة .

منزلة التوبة:

لابد أن نعلم منزلة التوبة حتى نعلم كيف نتوب ومم نتوب ؟

أكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ومنزلتها ولا حقيقتها فضلًا عن القيام بها علمًا وعملًا وحالًا، والإنسان إذا لم يعرف حقيقة الشيء لا يستطيع القيام بحقه عملًا وعلمًا وحالًا.

فالله عَزَّ وَجَلَّ غنى عن العالمين وكل عبادة يقوم بها العباد لا تزيد في ملكه شيئا وارتكابنا للمعاصي لا ينقص من ملكه شيئا لكنه يحب العبد التائب.

قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(٢٢٢)﴾[البقرة]

يُحِب أن نعمل الأعمال التي ترضيه مع أنه هو الغني ومع استغنائه عن مخلوقاته وأنه سبحانه هو القوى العليم الذي لا يحتاج إلى العباد، إلا أنه يحب العبد الطائع لا العاصي والشاكر لا الجاحد ويفرح بتوبة التائبين.

كما جاء فى الحديث قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **"لَلّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ "**صحيح مسلم

الشاهد: أن الله يفرح بتوبة العبد وهذا من أول الأمور التي لابد أن نعلمها في منزلة التوبة حتى نجتهدِ فيها.

خواص الخلق هم: ﴿عباد الله التوابين﴾

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة عبده فكفى بهذا نعمة وشرف ،ففرحة الله بتوبة عبده رغم ضعفه وقلة حيلته ومع هذا كله إلا أنه عز وجل يفرح بتوبته .

فانتبهوا لهذه القضية ولذلك جعل الله محبته للتوابين فهم خواص الخلق، قال الله جل جلاله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

فلماذا يحب التوابين ؟

لأنهم خاصة خلقه...

التواب يتوب مرة بعد مرة كما جاء الحديث

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ:

«كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ والدارمي

الكل يقع في الخطأ ولا عصمة لأحد ، لكن أفضل العباد عند الله من يكثر التوبة، يقع ويرجع ويتوب وهكذا مباشرة لا ينتظر ولا يستحل المعاصي ولا يغفل عن نفسه ويهلك في وديان دنياه، والعبد الغافل عن التوبة ليس بمحبوب عند الله وإنما العبد المحبوب إلى الله هو الذي يتوب إليه ويكثر التوبة والأوبة والإنابة إلى ربه سبحانه وتعالى ولولا أن التوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الله سبحانه ليفرح بها .

فالتوبة تعني :

الإقلاع عن الذنوب وفعل الطاعات ورد الحقوق، فكل هذه المعاني هي الدين كله.

فإذا حقق العبد منزلة التوبة فقد حقق الدين كله لأنه أقلع عن المعصية وفعل الطاعة وأرجع حقوق العباد ورد المظالم إلى أهلها، فيعتبر مقام الدين قائم على التوبة؛ لذلك يفرح الله بتوبة العبد ، الذي انتصر على نفسه وشيطانه وأقبل على ربه وسيده ومولاه وخالقه وعلم أنه بدون اللجوء إلى الله والاعتصام به فهو في ضلال مبين .

اعلموا أن التوبة من صفات الأنبياء وصالحي المؤمنين؛ فالمؤمن والصالح دومًا يطلب التوبة من الله.

التوبة صفة الأنبياء والمرسلين وصالحي المؤمنين.

يقول سيد الخلق أجمعين...

«وَاللّهِ إِنّي لَأَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سبعينَ مرَّةً» . رَوَاهُ الْبُخَارِيّ

وهو من! هو المعصوم ..... لكن هذا هو حال الأنبياء = الإكثار من الاستغفار والتوبة رغم أنهم لا يُذْنبون، فمم يتوبون ؟

يتوبون من نقص العمل هم يرون أنهم لم يعبدوا الله كما ينبغي لجلاله وكماله وعظيم سلطانه ، يتوب النبي ﷺ لأنه يرى أن فضل الله عليه كان عظيمًا ونعمه جليلة وبالتالي كان من المفترض أن يكون شكره له وعبادته لربه ومولاه أكثر وأفضل من ذلك ...

والتوبة للأنبياء أيضا ...

النبي ﷺ أو الأنبياء معصومين من الخطأ في أمور الشرع والعبادات، ولكن لهم بعض الأخطاء البسيطة الدنيوية التي لا تُذْكر فيتوبون منها، يتوب النبي ﷺ في اليوم أكثر من سبعين مرة، وهو المعصوم الذي قضى حياته كلها في طاعة ربه سبحانه والعمل لدينه فانتبهوا لهذه الأمور..

قال سبحانه في شأن آدم عليه السلام:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧)﴾[البقرة]

قال سبحانه:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٢٣)﴾[الأعراف]

كل هذه أدلة على أن الأنبياء يتوبون وينيبون إلى ربهم ، فكيف بنا !! ...

يقوم إبراهيم عليه السلام ببناء بيت الله وياله من عمل شريف عظيم جليل – بناء الكعبة – التي يحج الناس إليها ويعتمرون إلى أن تقوم الساعة..

ومع هذا يقول :

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١٢٨)﴾[البقرة]

يطلب من ربه أن يرزقه التوبة وهو يقوم بعمل من أعظم الأعمال، فماذا عنا نحن المقصرون المفرطون المذنبون !!

لا ينبغي ان تكون هذه آيات مجرد آيات تمُر علينا فنقرأها وينتهي الأمر عند انتهاء القراءة ، انتبهوا فالأمر عظيم ...

إبراهيم عليه السلام يقوم بأعظم الأشياء على الإطلاق ومع هذا يسأل الله أن يتوب عليه، فمم يتوب عليك يا إبراهيم وأنت إمام المتقين في زمانك وخليل الرحمن وفعلت ما فعلت لدين الله ووقفت أمام عُتاة الجبابرة والأكاسرة والظلمة لتصدع بالحق وتنشر كلمة لا إله إلا الله

فمم يتوب عليك ؟

☜يقول موسى عليه السلام:

﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ(١٤٣)﴾[الأعراف]

وهذا هو حال جميع الأنبياء والمؤمنين ....

يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾[التوبة]

إلى قوله تعالى :

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(١١٢)﴾[التوبة]

ذكر الحق تبارك وتعالى المؤمنين وأنه اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وعندما أراد أن يذكر صفاتهم :

قال عَزَّوَجَلَّ (التائبون) :فأول صفة للمؤمن يجب أن يكون عليها هي أن يكون توابا

كلمات لو قالها العبد بيقين ومات عليها دخل الجنة

حديث سيد الاستغفار الذي نُردده في أذكار الصباح والمساء ويا ليتنا نعقل ما نقول

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ".

قَالَ ﷺ: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» . رَوَاهُ البُخَارِيّ

هذا هو اعتراف كامل بالتقصير والتفريط وأنه الملك الجليل وأنك انت العبد المقصر العاصي المذنب وتسأله سبحانه أن يغفر لك.

يقول النبي ﷺ:" **لو قالها العبد حين يصبح موقن بها**"،أي أنه إذا امتلك اليقين عند قوله هذه الكلمات ومات دخل الجنة، وكذا إذا قالها حين يُمسي بيقين ومات دخل الجنة .

فحاول أن تستحضر قلبك عند قولك أذكار المساء والصباح لأن الموت يأتي فجأة ، فهي كلمات يتحرك اللسان بها، لكن القلب غافل ساه لاه عما يُقال انظروا في معاني الكلمات:

▫ (**أعوذ بك من شر ما صنعت**)

هذه توبة : أي ألجأ وأعتصم وألوذ إليك يا الله من شر ما فعلت من الأفعال السابقة والحالية واللاحقة ، استعيذ بالله وألجأ إليه واعتصم به من شر ما صنعت من أقوال وأفعال وخواطر سيئة وكل الذنوب الظاهرة والباطنة.

(أبوء لك بنعمتك عليَّ):

النعم التي أنعمت عليَّ بها كثيرة جدًا وما وفيتها حقها وما شكرتها وما أستطيع حصرها

(وأبوء لك بذنبي) هذا اعتراف (فاغفر لي) توبة.

(فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت):

الشاهد: أن كل هذه أدلة وردت في الكتاب والسنة تنص على أن العبد يحتاج دومًا إلى توبة وأوبه ورجوع إلى الله سبحانه.

هذه مقدمة عن التوبة ولن أطيل النفس في التوبة

لأننا اليوم نتناول مرض التسويف بالتوبة ولكن أردت فقط أن أتكلم عن أهمية التوبة عسى أن ننتفع بها أو تكون حافزًا للتوبة والرجوع إلى الله .

قوة إرادة المعصية تأتي من ضعف إرادة التوبة

كثرة الذنوب تضعف القلب عن إرادته فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية.....

ما الذي يجعل العبد يُسوِّف في التوبة ؟

أولًا : ما هو المقصود بالتسويف ؟

التأجيل (من سوف)،سأعمل في المستقبل إن شاء الله سوف أتوب غدًا بعد غد ، عندما انتهي من الدراسة بالجامعة ،لا عندما أتزوج ،هكذا يكون تأجيل التوبة والأوبة والرجوع إلى الله..

فما هو سبب تأجيل العبد للتوبة ؟

العبد يعلم أنه مُذنب لكنه لا يتوب، الكل يعلم معاصيه ولا يلزم أن يعرف كلٌ منا ذنوبه كاملةً ولكن على أقل تقدير كل واحد منا يعلم ذنوبه ومعاصيه الظاهرة الواضحة التي يعلمها هو أكثر من غيره ، وهناك معاصي لا يراها.

كل واحد منا لديه نوعان من المعاصي يعلم بعضًا منها ولا يعلم البعض الآخر وهذا النوع الأخير كامن بداخل العبد..

فلماذا لا يشعر بها ولا يراها ؟

هذا من لطف الله بالعبد أنه لا يُطْلعهُ على كل معاصيه بل يُبصره ببعض المعاصي ثم إذا تاب منها فإنه يُريه الباقي ، لكن لو لم يتُب من تلك الذنوب أخفى عنه المعاصي الأخرى ثم يأتي الموت ويلقى ربه بكل معاصيه ..

مثال: شخص لديه عشرة عيوب يعلم منهم خمسة والخمسة الأخرى أخفاها ربه عنه فلم يُعلمه بها، الخمسة أخفاهم عنه لطفا حتى يتوب من الخمسة الأولى ولو أنه بَصَّرَهُ بالعشرة مرةً واحدة ليأس، فمن لطفه بعبده ألا يكشف له عيوبه وذنوبه جملة واحدة، ولكن شيئًا فشيئا فيُرِيه اليوم أحد ذنوبه وإذا ما تاب منه كشف له الأخر وهكذا .

وهذا لطف من الله عَزَّوَجَلَّ للتائب العائد الحزين الذي ينصدع قلبه على المعصية وهناك أُناس لا يرون معاصيهم أبدًا وهم لا ينوون التوبة ؟

هذا مكر من الله بهم

انتبهوا..

إخفاء المعاصي عن العباد يكون على وجهين :

١) وجه فيه لطف لأهل الطاعة فلا يكشف للعبد معاصيه جملة واحدة، لماذا ؟

حتى لا يحدث عليه ضغط من نفسه اللوامة فيصل إلى مرحلة اليأس .

٢) ووجه لأهل المعصية والفجور والضلال، فإنه يُخفى عنهم ذنوبهم وعيوبهم إلا الأمور الظاهرة المعروفة للجميع (هذا مكر من الله بهم) لأنهم لا يريدون الرجوع لا ظاهرًا ولا باطنًا.

☜ وحال طائفة لا يستهان بها من المسلمين الآن هو ضعف إرادة التوبة في القلوب بسبب كثرة التسويف .

والدليل ..

أننا لو سألنا أي مسلم – إلا من رحم ربي – يسير في الشارع

هل لديك ذنوب ؟

سيقول : أكيد فالكمال لله ، ولكنه كلام مرسل يُردده كثيرون،فإذا ما سألناه هل تنوى التوبة ؟

سيقول : من أي شيء ؟!!

أنا مسلم أعرف الله وأصلي وأصوم فمم أتوب؟

هذه هي أحوال أكثر المسلمين الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله..

علامة القلب الحي تألُّمه على الذنب:

فلننتبه لهذه النقطة ونضع تحتها خطوط كثيرة جدًا، القلب الحي المتألم من الذنب الخائف الوجل الذي يشعر بتأنيب ضمير ويشعر بمرارة الذنب هذا قلب لا يزال حيًا فليحمد صاحب هذا القلب ربه.

لكن

الإنسان الذي يُسوف مرة بعد مرة هذا تُسلب منه هذه المشاعر

وبعد أن كان يشعر بتأنيب الضمير والحزن على الذنب ويُوبخ نفسه على ما صدر منه ؟

مرة بعد مرة تضعف إرادة التوبة

وهذا هو أخطر ما في المسألة أن يصل العبد إلى مرحلة عدم الحزن مما هو فيه ولا الشعور بالضيق من حاله، بل على العكس يرى أنه أفضل من غيره وليته يثبت عند هذه الجزئية بل أنه ينحدر إلى الأسوأ ، وهذا الأسوأ يتمثل في مرحلة عدم رؤية الذنب بالكلية، فلا يرى أنه مُذنب أو يرى أن ذنبه شيء بسيط والكل يُخطئ وكأن جبريل عليه السلام قد أرسل إليه يخبره أن ذنبه مغفور ،لابد من الانتباه دائمًا لحال القلب حتى لا يصل إلى هذه المرحلة التي لا يرى أن له ذنب

مرحلة ضعف إرادة التوبة يليها استغفار الكذابين..

مرحلة ضعف إرادة التوبة تليها مرحلة أسوأ فما هي ؟

العبد في هذه المرحلة إذا كان ممن يفعل بعض الطاعات - يُصلي أو يصوم أو يزكي - إلا أنه سيصل إلى مرحلة من أسوأ ما يكون فيها يصبح استغفار العبد إذا كان ممن يستغفر فإن استغفاره يكون استغفار الكذابين .

السؤال الذي يجب توجيهه للنفس من أي شيء تستغفري أيتها النفس ؟

يأتي الرد : أنا استغفر من الذنوب والتقصير

هذا جميل ولكن

هل استشعرت ذنوبك وعلمتيها أم أنك لم تعرفيها ؟

الجواب واحد من اثنين :

- إما أنك تعرفينها والخطاب للنفس فيكون استغفارك استغفار الكذابين لماذا ؟

أنت تقولين استغفر الله وتعلمين أنك مذنبة ، تستغفرين وأنت مُصرة على عدم التغيير ، نفس المعصية التي تصدر منك كل يوم أنت مستمرة في ارتكابها ترتيب وتدبير وتخطيط للمعاصي التي تُرتكب في العيد مثلًا من الآن....

(الجلسات والاختلاط وأخطاء ليس لها حصر)وفي نفس الوقت نجد اللسان يُردد الاستغفار، هذه الصورة للاستغفار وصفها العلماء بأنها (استغفار الكذابين).

السؤال هل أمتنع عن الاستغفار؟

لم أقل هذا؟

بل لابد من الاستغفار لكن مع استشعار معناه...

- وإما أنك لا تعرفينها وبالتالي فلن تستغفري أصلًا ....

لا يليق الاستغفار مع الإصرار

العبد يطلب من الله أن يغفر له ولكن متى يغفر له؟

يغفر بعد الإقلاع عن الذنب

﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (٣٧)﴾[البقرة]

يتوب ...

ويُقلع....

ويندم....

فيتوب الله عليه ويغفر له ما مضى..

نرى البعض يُصر على ذنب ما (مثل أكل أموال الناس بالباطل _ كبر _ بدعة _تعامل مع الكُهَّان) ثم يستغفرون ... ومع ذلك هم مُقيمون على معاصيهم ولا ينوون التوبة منها بل ولا يرون بها بأسا، هل يغفر الله له وهو مازال مُقيم على ما هو فيه أم يغفر له بعد الإقلاع عن الذنوب ، انتبهوا متى يغفر الله للعباد ؟

أصل التوبة:

أن يرجع الإنسان إلى الصراط المستقيم

واقتضاء الصراط المستقيم يحتاج إلى معرفة أمور ...

أنواع الصراط...

- صراط المغضوب عليهم .
- صراط الضالين.
- صراط المسلمين

صراط المغضوب عليهم وهم اليهود

عندما عصى اليهود الله عز وجل كانت معصيتهم بعلم لا بجهل فكانت نياتهم ومقاصدهم فاسدة وكان عزمهم على المعاصي قويًا ولم يُوجه هذا العزم إلى الطاعة لذلك غضب الله عليهم لأنهم يعلمون ولا يعملون ، احذروا أن تتلبسوا بهذه الصفة – صفة اليهود – يعلم ولا يعمل هو يعرف وعنده من العلم الذي يُبصره بالحلال والحرام ولكنه مُصرّ على الحرام، فأفعاله في هذه الحال تنافى القصد والإرادة وصدق القصد والعزيمة

الله ﷻأمر اليهود بأوامر كثيرة وما من أمرٍ كان يأتيهم إلا كانوا يتنصلون ويُراوغون روغان الثعالب .

صراط الضالين هم النصارى ، والنصارى ضلوا بجهلهم:

فالأول كان لديه فساد القصد

وأما الثاني فكان لديه جهل جعله يقع في المعاصي بل ويُصِر عليها إذًا الجهل ينافى المعرفة والهدي ، أما اليهود عندهم إصرار على المعاصي تنافى صحة العزيمة والقصد.

وأما الثالث: فصراط المؤمنين: المؤمن الذي يمتلك التوبة والأوبة والرجوع إلى الله ﷻوعدم الإصرار على المعصية وعدم الفساد في القصد هذا هو العبد الذي يرجو الله والدار الآخرة.

هذا هو صراط المؤمنين الذين أسأل الله أن يجعلنا منهم...

الهداية إلى الصراط المستقيم تستلزم الاعتصام بالله ...

لا يستطيع العبد اقتضاء الصراط المستقيم بغير اعتصام بالله، واقتضاء الصراط المستقيم الذي هو صراط المؤمنين والذي نقف بين يدي الله في الصلاة سائلين الله أن يهدينا إياه يتضمن عدم الجهل الذي يوقع في الذنوب والمعاصي كالضالين وهم النصارى ولا الإصرار على المعصية وفساد القصد كاليهود إذًا لابد من الاعتصام بالله ابتداءً.

يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(١٠١)﴾ [آل عمران]

فلو اعتصم العبد بالله حقًا – أي صدق في التجائه إليه وتمسك بحبله المتين والتزم بشرائعه–، فإنه سبحانه يهديه إلى الصراط المستقيم.

إذًا الأمر يحتاج إلى :

١) علم حتى لا يكون كالضالين النصارى.

٢) وصحة قصد وعزم حتى لا يكون كالمغضوب عليهم اليهود.

٣) واعتصام بالله حتى يُوفق لهذا الطريق .

الوقوع في المعاصي دليل الخُذلان ...

ولن يخذل الله عبده أبدًا إذا كَمُلَتْ عصمته به

وهذه جزئية في غاية الأهمية

وهذا أمر مُبشِّر جدًا لماذا ؟

لأن الوقوع في الذنوب والمعاصي هذا دليل خُذْلان ، وأعظم من المعصية (لو كان العباد يفقهون) خذلان الله للعاصي ،الشعور بخُذْلان الله للعبد في موقف ما وعدم دفعه عن المعصية دفعا وكذا عدم رد كيد الشيطان عنه هذا الخذلان في حد ذاته يكون وقعه على القلب أعظم من التحسر على وقوع المعصية.

المعصية وقعت وتألم القلب عليها لكن الألم الأشد أنه خُذل في هذه اللحظة ولم يُدفع عنه كيد الشيطان وكيد نفسه .

سلاح العبد في مواجهة النفس والشيطان..

قال تعالى :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾[الحج]

يحتاج العبد إلى الاعتصام بحبل الله؛ لأنه هو الذي يتولاه ويتولى نصره فيدفع عنه الذنوب والمعاصي ولو قَلَّ الاعتصام بالله لوقع فيها لماذا ؟

لأن العبد لديه عدوان لا يُفارقانه

(الشيطان والنفس)

وعداوتهما أضر من عداوة العدو الخارج، والنصر على هذا العدو أهم والعبد إليه أحوج وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام.

وعلى قدر الاعتصام بالله يكون حفظ الله للعبد من الشيطان والنفس.

أقرب وأفضل شيء يتقرب به العبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ هو القيام بالطاعة حتى لو كان العبد قائما على المعاصي، لكنه متمسك بشرع الله فهذا يحفظه من الشيطان ومن نفسه وكلما قوى اعتصامه كلما ضعف شيطانه ونفسه وكلما ضعف الاعتصام كلما قوى الشيطان والنفس .

حقيقة التوبة:

كيف تكون التوبة ؟

وكيف يعرف العبد هل هو تاب أم لا ؟

١) التوبة :هي الندم على ما سلف في الماضي.

٢) والإقلاع عنه في الحال.

٣) والعزم على ألا يعاوده في المستقبل.

أولًا :ترك كل الذنوب الماضية التي كنت تصر عليها والندم والإقلاع عنها في الحال، والله لو جلسنا بقلب سليم مع أنفسنا في جلسة لمحاسبة النفس وتذكُر الذنوب والمعاصي وما صدر منا في حق الله على مدار السنوات الماضية وبشاعة الذنب وحقارة النفس حال التلبس بالمعصية

وستر الله علينا، وحلمه علينا وعدم اخذه لنا أخذ عزيز مقتدر وتوفيقه لنا حتى نتوب ونُقلع عن بعض المعاصي ... لو تذكرنا كل هذه الأمور سيتحرك القلب إلى الإذعان إلى الله وأوامره والإقلاع عن المعصية ، فعلينا التفكُر في هذه الأمور والجلوس مع النفس للمحاسبة:

كيف فعلت كذا في هذا الموقف؟

وكيف فعلت كذا في هذا اليوم؟

وكيف أغلقت عليَّ الأبواب وارتكبت معصية وكأن الله لا يراني ؟؟

هذا في حد ذاته مصيبة ولو راجعنا أنفسنا سنجد الكثير وسنعجز عن عَد الذنوب، فالإنسان عندما يستشعر هذه الأخطاء والذنوب وينكسر ويذل بها بين يدي الله ويستشعر

كم أن النفس حقيرة وخبيثة؟

وكم نحن عصاه؟

كم أكرمنا الله ؟؟

ونحن ما تعاملنا معه بالكرم ..

الندم هو شرط التوبة الأول...

لابد من الندم لأن هذا هو أول شروط التوبة، و الكثير من الناس يقول أنا تُبت وتركت أمور لكنى لستُ نادم على ما فات ،أنا تركت لأنه حرام أنا كنت أحب الأغاني وتركتها ابتغاء مرضات الله لكنى لستُ نادمًا ..

أقول لهؤلاء إن تركك للأغاني ابتغاء مرضات الله فعل جميل وطيب وإن شاء الله ربنا يتقبل توبتك..

لكن توبتك بها خلل وهذا الخلل قد يكون سبب لرجوعك إلى المعصية مرة أخرى ، ولو كنت قد تركت المعصية ولا ترى أنها شيء قبيح فسترجع إليها مرة أخرى وهذا سبب الشكوى التي تأتيني من الكثيرين يقولون تُبْنَا ورجعنا واستقمنا على الطريق ورجعنا مرة أخرى إلى نفس المعصية ، أتوب من المعصية وأرجع إليها مرة أخرى

لماذا؟

الانتكاس والرجوع مرة أخرى لأن العبد لم يندم عليها

لماذا لم يندم ؟

لأنه يرى أنها شيء بسيط ويتوقف إقلاعه عن الذنب عند حد الخوف من الحرام.

الأعظم من الذنب التجرؤ على معصية الرب..

مثال:(النمص)من المعلوم أن الله ﷻ قد توعد من تقوم به باللعن والأخت إذا تركته يكون تركها له خوفًا من العقوبة لا ندمًا على أنها في يوم من الأيام كانت تقف أمام المرآة وتقوم بالنمص وفى كل لحظة من هذه اللحظات هي في شقاق وعناد مع الله لأنه نهاها عن هذا الفعل وتوعد صاحبته باللعن وهي تعلم أنها بفعلها هذا تقع تحت هذا الوصف ومع ذلك تجرأت على الله بالمعصية ...

كل هذا لابد أن يُوجِد ألمًا في القلب حتى تتركه نهائيًا ولو لم يأتِ هذا الألم في القلب، فالعبد على خطر الرجوع لنفس المعصية مرة أخرى.

هذا هو سبب الرجوع للمعاصي لابد من استحضار الذنب وعظمة الخالق ، وقد قيل: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت...

حال العبد أنه إذا دخل على إنسان عظيم في الدنيا وأراد التحدث معه ، فإنه يقوم بتحضير الكلام وتنسيقه وترتيبه خشية أن يقول كلمة لا تليق بهذا المقام ومع هذا الإنسان ذو المكانة العظيمة،فكيف بملك الملوك؟؟؟

الذي يرى ويسمع ويعلم ما في القلوب! كيف نتجرأ عليه بالمعصية!

استحضار معاني عظمة الله هذا هو السبب في رؤية بشاعة المعصية وإلا فلن نرى أنها بشعة، وإن لم ير العبد عظم وبشاعة الذنب لعاد إليه قريبًا جدًا،مع الدنيا والمشاغل والفتن يعود مرة أخرى للذنوب.

والحل الوحيد بل هو أقوى الحلول..

لعدم العودة إلى الذنب أن يرى العبد مدى بشاعة الذنب وحقارته وكم كانت نفسه حقيرة خبيثة وهى تستخفي من الناس ولا تستخفي من الله وتتجرأ عليه بالمعاصي في السر أو في العلن كل هذه أمور تجعل الإنسان يَسْتَعظِم الذنب فتكون سببًا في تركه .

من اتهام التوبة

بعض الناس يرون أنفسهم بعد التوبة كأنهم قد أعطوا صكا بالأمان، فهذه من علامات التهمة

إذًا أول علامة تُتَهم بها التوبة: ثقة العبد بعد التوبة أن الله سبحانه قد غفر له

وكان عليه أن يقول هل توبتي صحيحة ونصوح أم لا ؟

هل سأثبت عليها أم لا؟

هل تقبلها ربي مني، وغفر لي؟

لأنه كان يعمل ذنوبًا واستغفر وتاب ولكنه لا يعلم هل غفرها الله له أم لا ؟؟

الأصل أنه يرجو من الله هذا لكن عليه ألا يكون ممن يأمن مكر الله..

المرأة الغامدية التي زنت على عهد النبي ﷺ : " ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ طَهِّرْنِي، فَقَالَ: وَيْحَكِ ارْجِعِي، فَاسْتَغْفِرِي اللهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: تُرِيدُ أَنْ تَرْدُدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَ: أَنْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ لَهَا: حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ. قَالَ: وَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَ: إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ لَهَا: اذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي. فَلَمَّا وَلَدَتْ، قَالَ: اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ. فَلَمَّا فَطَمَتْهُ، أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ، فَرَجَمُوهَا فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا، فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ، فَسَبَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ - مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ» . رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشاهد: كم المدة ؟

كانت حامل ثم انتظرت تمام حملها وذهبت إليه وقال لها ارجعي حتى تضعي فرجعت فوضعت الولد ورجعت له ،وقالت طهرني يا رسول الله فأقام عليها الحد وحد المحصن المتزوج رجل كان أو امرأة الرجم حتى الموت؛ فأقام عليها الحد بالرجم حتى الموت فقام يصلى عليها فقيل له يا رسول الله أتُصلي على زانية فقال والله لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل الأرض لوسعتهم.

السؤال:

لماذا ذهبت إلى الرسول ﷺ وقالت أنها زنت وتريد أن تتطهر وكان من الممكن ألا تخبره وتتوب إلى الله وتندم على ما فعلت كما يذنب أي واحد منا – وكان لها ذلك - الذنوب التي يُعاقب عليها بإقامة الحدود عندما يتوب العبد منها لا يدرى هل غفرها الله له أم لا ، لكن إقامة الحد كفارة (الحدود كفارات) كذا قال رسول الله ﷺ إذا أقيم عليه الحد فالله كريم لا يعذب الإنسان مرتين بذنبه ، فإذا أُقيم عليه الحد في الدنيا فإنه لا يعذبه في الآخرة ،الغامدية أرادت أن تضمن قبُول توبتها عند الموت وأن لا تُعذب بعقوبة الزنا يوم القيامة...

يا الله من هؤلاء؟

وما هذه العقول والقلوب ؟

هي في نظر الناس جلبت لنفسها ولابنها العار والفضيحة، لكن كل هذا لديها لا يهم ، المهم أن تُبعث يوم القيامة وقد تاب الله عليها وإذا قال شخص كان من الممكن أن تتوب هي لا تعلم (الحدود كفارات) هي خائفة لا تريد أن تضع نفسها في احتمالات ، تخاف الله رب العالمين مع أنها زنت ..

نحن الآن بيننا أُناس لم يرتكبوا هذا الذنب ولا نصفه ولكن ليس في قلوبهم مثقال ذرة من هذا الإيمان، والقضية ليست قضية معصية زلت فيها القدم ولكنها قضية قلوب تستشعر عظم الذنب وعظم من أذنبت في حقه هذا هو المهم..

إذًا التوبة والرجوع لا ينبغي أن يُصاحبها طمأنينة وركون إلى أن الله قد قَبِلَ هذه التوبة وما أدراني أن الله قبل التوبة!

الإنسان يظل دائمًا يستغفر ويستحضر الذنب وهكذا حتى يُرِي الله منه خيرا، فيرى أن قلبه تقطَّع على هذا الذنب، ليس مجرد ترك الذنب فحسب.

من علامات اتهام التوبة أيضًا

▪جمود العين واستمرار الغفلة وعدم استحداث أعمالًا صالحة بعد التوبة.

جمود العين : أي تَذَكُر الذنب مع عدم التأثر أو البكاء عليه، فيقول: نعم أذنبنا ولكن تاب الله علينا و الحمد لله..

استمرار الغفلة : نتوب من أشياء ومازلنا في غفلة ، أنا تبت اليوم فمن المفترض علي إن كانت صادقا أن أستحدث أعمالًا صالحة..

معلوم أن صلح الحديبية كان فيه شروطا مجحفة أو صعبة على نفوس المسلمين وقتئذ "فقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺفَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ «بَلَى». قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ «بَلَى». قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهْوَ نَاصِرِي». قُلْتُ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ». قَالَ قُلْتُ لاَ. قَالَ «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ». قَالَ فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى. قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى. قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺوَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهْوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ قُلْتُ لاَ. قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ." صحيح البخاري

قَالَ الزُّهْرِيُّ:" قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالا"

فخرج عمر وشعر أنه قد أخطأ لكونه قد راجع النبي ﷺ في قرار أخذه بالصلح مع الكفار في هذا العام..

الشاهد: أنه بعد ما انتهت القضية وفعل النبي ﷺ ما رآه صوابًا للمسلمين رجع عمر وحزن حزنًا شديدًا، فقال عمر: (فعملت لذلك أعمالًا) ... هذا ما أريد أن أصل إليه .

ما قصد عمر أن يراجع النبي ﷺ ولا أن يتعالى عليه أبدًا .. حاشاه لكن كل ما هنالك أنه كان عنده حمية وغضبة لدينه ، يحب دين الله ويرى أن شروط الكفار فيها ظلم للمسلمين فأراد أن يرفع هذا الظلم عن المسلمين وينصر الدين، وهذا عمر وما أدراك من عمر ، لكنه ندم جدًا على ردة فعله حيال الأمر، كيف يأخذ النبي ﷺ قرارًا أو يقول شيئًا ثم يقوم عمر بمراجعته فيه، يعنى مجرد مراجعته للنبي ﷺ اعتبره ذنبا عظيما، فقال : ففعلت أو عملت لذلك أعمالًا. ويُروى عنه أنه كان يعتق العبيد ويتصدق بالأموال كل هذا لأجل كلمة قالها أمام النبي ﷺ لم يكن من المفروض أن يُصدرها.

هذا هو الندم الحق والتوبة النصوح والمتاب الذي هو الإقلاع عن القبيح وتحري كل جميل العبد بالفعل يتوب ولكن أين هو من الأعمال الصالحة بعد ترك الذنب؟

أين قيام الليل ؟

وكثرة الاستغفار...

والسنن الرواتب ...

والصدقات......

وخدمة المسلمين والأعمال...

وتلاوة وحفظ القرآن....

أنا تبت فأين الأعمال، أين دليل صدق التوبة ؟

علامات التوبة المقبولة الصحيحة :

١) أن يكون حاله بعد التوبة خيرًا مما كان عليه قبلها:

أول علامة حتى نعلم أن الله قد قبل توبة العبد هي تَغَيُّر الحال عما كان قبلها (اللسان _الكلام _الحال_القلب_الخُلُق) كل شيء تغير مع الله سبحانه وأصبح أفضل، فتلك علامة قبول.

٢) لا يزال الخوف مصاحبًا له فلا يأمن مكر الله طرفة عين :

وهذا أيضًا من علامات صحة التوبة ، الخوف وعدم الطمأنينة وعدم الركون إلى هذه التوبة ، أرى البعض ممن يتوب يركن إلى هذه التوبة و يشعُر أنه بهذه التوبة قد أبلى بلاء حسنًا و لا يخاف على نفسه من السقوط مرة أخرى ، والله أعلم ربما يرجع مرة أخرى للمعصية وأشد منها وعندما يرجع للمعصية قد يموت على ذلك .

فلابد أن يتحرك القلب بالخوف من الله

(الخوف أصبح ضعيفًا جدًا في القلوب)

بل لابد أن يخاف الله كما يرضى الله، فالخوف ركن من أركان العبادة التي تتضمن الخوف والرجاء، أليست هذه هي أركان العبادة كمال الحب وكمال الذل، والذل يعني الخوف والانكسارألا يأمن مكر الله طرفه عين.

قال تعالى:﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(٣٠)﴾[فصلت]

في اللحظة التي نسمع فيها الملائكة يقولون ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(٣٠)﴾ هنا يمكن أن يطمئن العبد ولا يخاف ، أما قبل ذلك فلا يمكن له أن يتخلى عن الخوف طرفة عين وإذا سُلب منه الخوف فقد سُلب منه ركن من أركان العمل .

٣) انخلاع قلبه وتقطعه ندمًا وخوفًا وهذا على قدر عِظَم الجناية وصِغَرِها:

(هذا تأويل سفيان بن عُيينة): عندما قرأ قول الله ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾[التوبة]

قال: تقطع قلوبهم بالتوبة والمقصود أن التوبة لن تكون صحيحة إلا إذا تقطع قلب صاحبها ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه وهذا من تقطعه وتلك هي حقيقة التوبة لأنه يتقطع قلبه حسرات ، الإنسان التائب توبة صحيحة لابد أن يستحضر معنى هذه الآية وهو يقرأها في سورة التوبة.

- أمر الأخر هو: تقطُع القلب خوفًا من سوء الخاتمة وسوء العاقبة ..

كما يقول ابن القيم: "من لم يتقطع قلبه على ما فرط حسرة وخوفًا تقطع قلبه في الآخرة ، الذي لم يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط من معاصي وذنوب تقطع قلبه في الآخرة فلو أن الحسرات والألم لم يحققه العبد في الدنيا فستكون الحسرات والآلام في الآخرة يقول تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ(٥٦)﴾ [الزمر]"

هذا يوم القيامة تتحسر النفس وتقول يا خسارة أنا فرطت وأضعت وما ألتفت إلى أوامر الله ، تتحسر يوم القيامة ولكن يوم لا ينفع الندم ماذا يفعل الندم حينئذ!

فإذا لم نسع فى الدنيا أن يتقطع القلب ويتحسر وينفطر حزنًا على ما سلف من الآفات والذنوب والمعاصى وأمراض القلوب ويبدأ المسلم فى الإصلاح، سيلازمنا التقطع والحسرات يوم القيامة والعبد إما تائب وإما ظالم ولا وسط بينهما وهذه إشكالية، يقول تعالى:

﴿ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾[النور]

هذه سورة مدنية نزلت فى المدينة بعد ١٣ سنة هي عُمر دعوة النبي ﷺ فى مكة خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه وأتى بأداة (لعل) حتى تشعرك بالترجي يقول عزَّ وجل للصحابة خيرة الخلق ، أفضل الخلق بعد الأنبياء وقد مكثوا ١٣ سنة فى عناء وشقاء وأذى فى مكة لا يعلمه إلا رب العالمين، وأيضًا هاجروا وتركوا الأموال والديار والعشيرة وذهبوا إلى المدينة، بعد كل هذه الأعمال التي هي كالجبال فضلًا عن الصيام والقيام وأعمال البر المختلفة، يقول الحق لهم (وتوبوا إلى الله جميعًا) لفظ جميعًا من ألفاظ العموم يعنى إذا دخل على نص عم أي ليس فيه استثناء ،من أول أبى بكر الصديق حتى أصغر صحابي (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١))[النور]

يقول لأبى بكر تُب ولعمر تُب وعائشة وفاطمة توبوا ، هذا نص عام لجميع الأمة لكن أقصد أنه فى هذا الوقت يقصد الصحابة توبوا فكيف بنا! كم نحتاج إلى توبة وهناك إشكالية أنه عندما يقطع الأخ باعًا فى الدين ثم يُقال له تُبْ : يقول من أي شيء أتوب ؟

هو يرى نفسه له باع فى الدين(أنا أتكلم عن نموذج المفترض أنه وصل إلى مستوى عالي وقطع مسافة طويلة في الطريق، لا شخص عادي وبالتالي فالأدنى أولى بالتوبة)

فهو يرى نفسه أصبح شيخًا وله أتباع ومُستمعين ولا يحتاج إلى توبة.

لا والله هذا ضلال فى الفكر

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)﴾[الحجرات]

الآية الأولى : لعلكم تفلحون والثانية فأولئك هم الظالمون،إذًا ظالم ومفلح، شخص نال الفلاح والنجاح وشخص ظالم، ولا يوجد شيء بينهما، كما فى الآخرة ففي النهاية إما جنة و إما نار ولا يوجد شيء بينهما ، كذلك إما تائب وإما ظالم لنفسه.

الفطرة تأبى القبائح...

من لطائف التوبة أن فطرتك أصلًا تأبى القبائح، والإنسان مفطور على حب الأخلاق العالية والإحسان والكرم، فلو وجدت شخصية كريمة تجد نفسك مسرورا من كرمها وإحسانها ومن كلامها الطيب، هذه فطرة فى الإنسان يحب محاسن ومكارم الأخلاق والأمور الطيبة، وفطرة أنه يكره القبائح هذه الفطرة الطيبة التي تتلوث والعقل السليم الذي لم ينتكس والقلب السليم الذي لم ينعكس بفكره يأبى أبدًا القبائح.

فلو رأينا امرأة عارية تمشى فى الشارع من دون أن نعرف حكم العري فإن الفطرة الطيبة تجعلنا لا نستطيع النظر إليها هذا لو كانت فطرتنا مازالت سليمة، البعض ينظر لأن الفطرة تلوثت ولم تعد سليمة وفسدت، أفسدوها بكثرة المعاصى ورؤيتها والاختلاط بأهلها ، فالأمور التى كانت فطرية عند الإنسان يأباها لم يعد يأباها.

قيل لأحد الأعراب وقد أسلم لما عرف دعوته ﷺ عن أي شيء أسلمت؟

وماذا رأيت منه فدلك ذلك على أنه رسول الله ﷺ؟

قال الأعرابي : "ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه ولا نهى عن شيء، فقال العقل ليته أمر به"

هذه فطرة سليمة أعرابي جاء من البادية لم يدرس علوم ولا مصطلح ولا حديث ولا شيء أبدًا رجل جاء من البادية يرعى الغنم أسلم واتبع النبي ﷺ سألوه ما سبب إسلامك؟ قال : جلست أفكر بعقلي كل شيء أمر به محمد صلى الله عليه وسلم لم يقل عقلي ليته لم يأمر ، يعنى لما أمر بالصلاة والصيام والبر والإحسان والعفة وعدم الكذب والغش والحقد والحسد وكل هذه الأمور التى أمر بها لم يقل العقل ليته لم يأمر بها، ولا أحل شيئًا فقال العقل ليته حرمه، فقد نهى الإسلام عن الخمر والزنا والربا وعقوق الوالدين وسوء الخلق كل هذه نواهي الإسلام لايوجد عقل سليم يقول ليته أباح الخمر أو الزنا أو عقوق الوالدين أو المال الحرام العقل، فلا يوجد أمر فى الشريعة إلا وفيه الخير ولا نهي فى الشريعة إلا وفيه الشر .

قال تعالى :

﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** (١١٥) **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** (١١٦)﴾[المؤمنون]

تعالى الله الملك الحق عن السفه والعبث وأن يخلقنا سدى، فهذا مستحيل، هل تظنون أنه بعدما خلقنا لن نرجع إليه ولن يكون هناك عقاب ولا حساب! ، فتعالى الله الملك الحق عن هذه الأمور، لقد خلقنا الله سبحانه لغاية وأمر وللعبادة وإذا لم يتبصر الإنسان بهذه الأمور يكون قد طُمس عقله والعياذ بالله يقول سبحانه{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)}[الجاثية]

هذه أيضًا لتقف مع نفسك وتحاول أن تتوب إلى الله ، هناك فريق يطيع وفريق يعصي الله يقول لك فى القرآن لا يوجد تساوى بين من اجترح واقترف السيئات وتجرأ على معاصى الله ومن

أطاع وخشع، هذا لن يحدث أبدًا ساء ما يحكمون : هذا حكم سيء لأنه ينافى كمال عدل الله أن يساوى العاصي مع الطائع والمقبل مع المدبر والشقي مع التقى، هذا ينافى عدل الله وسماحة الإسلام والشريعة فلن يحصل ، انتبهوا لكل هذه الأمور .

يقول الله تعالى:

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ(٢٨)﴾[ص]

هذا سؤال استفهام للاستنكار ، فينكر على من يجعل القبيح كالشيء الجميل والفاجر كالطائع والمسلم كالكافر، فالإنسان لابد أن يتدبر هذه الأمور .

وقال سبحانه فى شأن العصاة الذين ماتوا على غير توبة وحصل لهم الندم والحسرات عند لقاء الله فى الآخرة:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾[الملك]

أين جاء الندم هذا الكلام؟ يُقال وأصحابه فى النار: يقول لو كنت أسمع سمع إجابة، أسمع الدرس وأنفذ ، أسمع الموعظة أنتفع بها ، اسمع الحرام اجتنبه ، اسمع أوامر الله فآتيها ، فسمع الإجابة هو رؤية العقل للقبيح قبيحًا فيجتنبه ورؤيته للصحيح صحيحًا فيأتيه لكنهم لم يسمعوا ولو يعقلوا، فكان جزاؤهم وما ترتب على إعراضهم وعدم السمع والإجابة جهنم، والتي هي قعرها بعيد وحرها شديد وفيها مقامع من حديد نعوذ بالله من نار جهنم، ومن يطيق كل هذه أمور!!

تأخير التوبة من الذنب ذنب يحتاج لتوبة...

تأخير التوبة ذنب وهذا أمر قد لا يلتفت إليه الكثير ، يعنى تأخير التوبة فى حد ذاته ذنب آخر غير الذنب الذى يقيم عليه العبد، شخص أذنب يعلم أنه مذنب هو يُسوَّف وغدًا وبعد غدٍ والشهر القادم ، هذا التأخير فى حد ذاته ذنب آخر يحتاج إلى توبة لماذا ؟

لأنه خلال فترة التسويف يروغ روغان الثعالب، ويطول به الأمد، ويأمن مكر الله، ويستهين أكثر وأكثر بأوامره، ويعد ويخلف...كل هذه أمور تعد ذنوبا أخرى...

_ لدينا ذنوب وسمعنا اليوم درسا عن التوبة أسأل الله أن يشرح صدوركم ويكون الدرس سببا فى هدايتكم جميعًا - وأنا أولكم - فإن أقلعنا عن الذنب الآن وأعلنا توبتنا، سنحتاج إلى توبة أخرى عن الأعوام الماضية التي علمنا فيها حرمة تلك الذنوب ولم نعيرها سمعا، ولم نلق لها بالا واستهنا فيها بأمر التوبة وسوفنا

وأكثر ما يفيق العبد من غفلته أن يتذكر دائمًا قول الله سبحانه :

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(٣٤)﴾[لقمان]

لا أحد يعلم ماذا يكسب غدًا ولا ولا اللحظة ولا الدقيقة التي يموت فيها ولا بأي أرض يموت، فعلينا أن نجاهد الشيطان والهوى والنفس والدنيا التى تتسلط علينا وتجعلنا نسوف التوبة، أسأل الله أن يرزقنا توبة وهداية قبل الموت وأن يتقبل منا ومنكم جزاكن الله خيرًا

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .